هديل البريد

مجموعة قصصية

إسماعيل محمد قمر

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: هديل البريد

اسم المؤلف: إسماعيل محمد قمر

إخراج فني: ملتقى ابن النيل الأدبي

تصميم غلاف: ملتقي ابن النيل الأدبي

تصحيح وتدقيق: شفاء العوير

رقم الايداع: ٢٨٤٢٦ /٢٠١٩

ترقيم دولي: 978-977-6791-11-4

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزئته

في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال

المعروفة حاليا أو التى ترد مستقبلاً دون إذن خطي مسبق

المراسلات:

دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

المقطم الهضبة الوسطى الحي الرابع منزل رقم 5275 شارع عماد مصطفى

ت: 27304004

الإهداء

إليكِ حيث تقرأ عينك وقد عاد لها البصر من التخيل،لتضم بالجفون روعة الحقيقة...

المقدمة

في رحلة البحث عن جديد للكتابة،احتارت الأفكار ما بين

مسافرة،وعائدة،ومحايدة

مسافرة.... إلى عالم جديد

عائدة.....من أودية الذكريات

محايدة.....تسير بانتظام حر

ما بين الماضي والحاضر

هذا هو الكاتب،وتلك معاناته المتجددة لاستكشاف الحالة للقلم

ليبدأ في جرح عذرية الورقة البيضاء،التي لم تمسها أحرف من قبل .....

"واحة في صحراء العمر"

أسفل عيون فجر العيد، رأيتها ضفاف جفون تعافر وتكابر وتغرق رافضةً لسيل الفرحة في اوردةٍ تتوه عن القلب، حدثتني عندما كان لنا لقاءات عن امتزاج الحس بالسرور والأحزان، وأن لكل لحظة حكايات وروايات كثيرة لا تنتهي، وإن اللحظة الانتقالية دائما ما تكون مؤلمه، فبهذه اللحظة تودع شيء غالي وثمين شيء تعودت عليه وصار جزء منك، لتنتقل لشيء جديد، ربما يؤلمك أكثر وربما يبكيك حتى تتعود عليه، وأخذت مثال على ذلك من روح الدعابة عندها وقالت لي في بداية الحوار، **"تعرف حكاية كوب الشاي باللبن؟"**

انتظرتُها بردائي الابتدائي في صباح السادسه، تأتي بعدها بخمس دقائق استثمرتْها في حيلة تهرب بها من شرب الكوب الأبيض الساخن، حيلة نعرفها كلانا ونفعلها كل يوم للتهرب من هذا الكوب العقابي لنا، تتشابك الأصابع وننتوي أعمال اليوم بالتتابع، تقطرت أطراف رداؤها بدماءٍ ثارت مني

لهدوء مشيتها ورسمتها التي انستني القلم وصار اصبعي مبري.

كانت في سجل ذكرياتها معي تضحية، ذوق المريلة الكحلي هو الأخر اكتسب حُمره من بكاء عيونها تأثرا وأيضا من نزيف تعابيري عنها، في آخر مجموعه قصصية أهديت لها منها الأحرف والكلمات والنص الأصلي

وما كان منها سوى أن تشتري أكثر عددا وتجوب به الشوارع جنونا، وبصوت حنوناً جعلني أنا الآخر أسير بأوراق أمسكت يدي في كتابتها.

في هذا المكان الهادىء تقابلنا واسترحنا، قالت لي"تعرف نفسي في إيه؟"

قلت لها بلا تردد الساعة الآن السادسة إلا خمس دقائق

" هديل البريد "

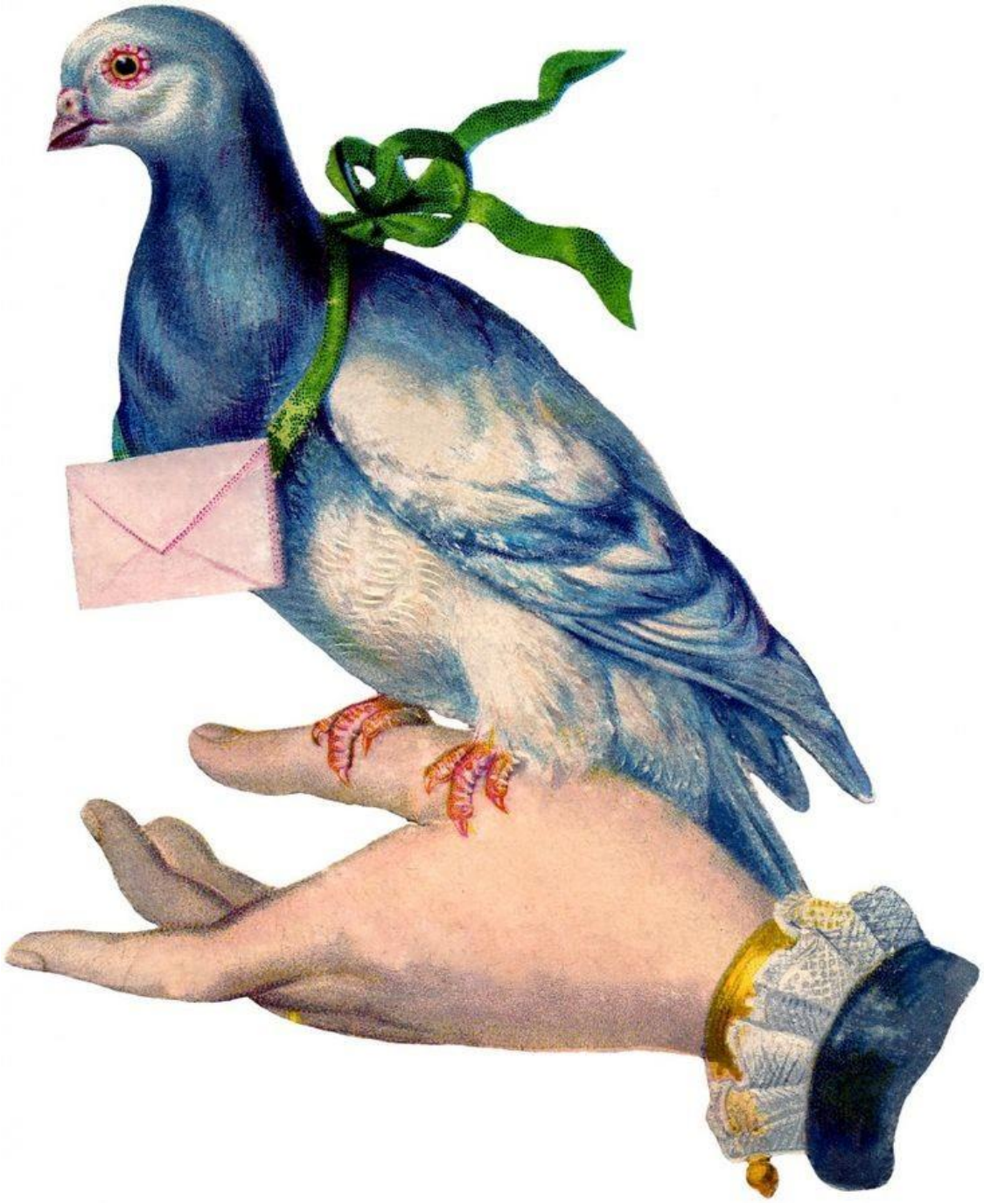

هَدأَ صَمتُنا الثائر من عناءِ الصوت وتفارقنا، وغابَ القمر في أمسياتِ بلادٍ بعيدة.

تلك المرة ترتيبات اللهفة تُعاند أصابعي لتأخير الساعة، ماذا يحدث؟!

كنا سوياً أنا ورَسْم نبضاتي المنحِدر الأخير نتعاهد بألا أَتحدث بعباراتٍ تسرق الإطالة ولا يُخبرها طبيبي المُعالج بشيء من الأسرار، فهي النبض في وريدي وكم اخشى عليها الحزن والوجع

رَسى القطار العائد في المحطة تَذَكْرتُ هلتها، وذوقها حديثها، وصمتها ضحكاتها وحزنها، وتفاصيل أخرى خرساء كما وَعدتُ غربتها، حقائبي الزاخرة بسنوات الغياب والمال والاعتراف، قذَفتُ بها في الجانب الآخر من الشاطئ، لم يتبق معي سوى مجموعة رسائل وحيدة عابرة سُطِرت بدماءٍ انعصرت من أوراق الورود الحمراء المنتظرة

لا أحد في استقبالي، اقترب من البيت القديم شَعُرت بعتاب كل الأجواء الأسوار، الهدوء، والصداءات الساعة تدق الرابعة موعدنا الفائت منذ عشر سنوات سألني البستاني، لما لا تُجري الجراحة مبكراً؟ لملمت بقايا أنفاس قديمة قلت له حتى لا تتغير أوصافي أمام مرآة تأملها لدرجة عشقي لبسمتها الصباحية.

وكان ذلك قبل أن يُخبرني بأنها سافرت لدراسة الطب بالخارج.

"قصر الاحلام"

خفيفة الظل الممتد، من بين حنيات الأصل المطلي اعجابا، وانطباع أشعة الشمس، تنتظرني بثوب عاري، إلا من صُدفات شتوية ونظرات ساتره

في صباح يوم منذ خمسين عاما أزاحت غطاء النوم وارتدت ثياب خضراء بلون زروع يعلوها سور تطّلعنا سوياً من خلفه ورصدنا أشياء وأشياء:

أولاها

تناغم ملامح جديدة اكسبت ارهاصة الاستيعاب، رقصه وَحدّتُها في حكايه غَزَلَتها هي بأصواف سَرقت سطوع الشمس لغيام فضولنا.

حين كانت تُمطر الدنيا دموعنا كان بكاؤنا حارا، سَقطتُ من السور وتعلقت هي بفروع عائلتي ولن يخبرها أحد عن أصلي الصيفي.

ثانيها

أننا بكينا وضحكنا، مال البستاني من أعلى الشجرة إلى الأرض عندها تذكرنا أن بوابة قصر الأحلام مفتوحة، خرجنا نتشابك أطراف الأصابع ونتناوب دقات القلب في رحله وَجْدِيّه هائمة

ثالثها

عودتنا بعد سنوات كثيرة، عجوزين بأمنياتٍ شابه، وبسمات وليدة طازجة.

" وطن "

ماذا قالت في حوارها الهامس، وأنا مسافر بعد قليل هل سألت عن اعدادي لاطار العودة ؟ أم شغلها كيف ستبدو في دقائق الإستقبال ؟

ودعتني كعادتها بكلمات غير مألوفة وسرحات صامتة تنتصف بسمة تهوين الوداع ودمعة تنادي بقائي، فهي حساسة جدا، تخشى فراقي كخشية الطفل فراق أمه، منذ علمت بسفري وهي تعد الأيام التي سوف أعود بها ليشرق الفرح على محياها من جديد، خبأت دموعها قبل أن تسرقها الجفون حتى لا أراها وكأني اتنقل على المشتري! تعاندني الخطوات والإرادة بوجداني حائرة .

رسمت لها صوراً كثيرة مدّدتُ موسم الحصاد أيام للأمام فهي تعشق هذا اللون، أرصدها هناك تواسي خيال فكرة الفلاحين في استبعادهم للعصافير، كم هي تشبه بسنوات ليست كثيرة تلك الفلاحة، نعم تلهمني بتلك الابتسامة إذا تبادلت معها مشهد إحضار الغداء لي ظهرا.

نعم ايتها الفكرة المداعبة ستكونين ملكة جمال الفلاحين.

وصلت بي السيارة إلى محطة جديدة تبعدني عنها ذكرني بذلك السائق عندما دفعت له أجرة راكبين، وقبل وصولي سبقتني رساله هاتفيه، تخبرني بأنها أعدت كوبين من الشاي.

"صدى صمت"

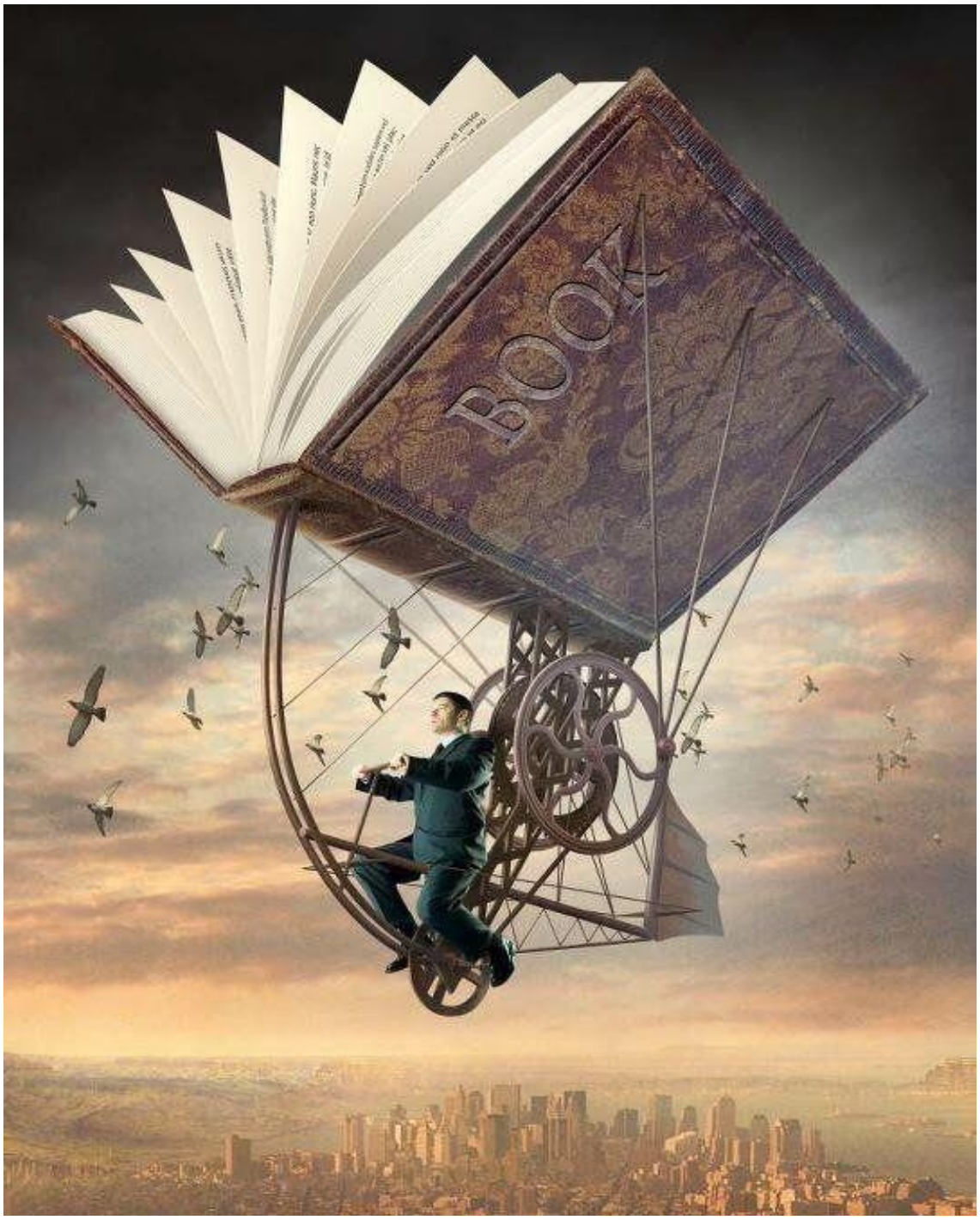

على غلاف جريدة حُلمهُ بواقع افضل لمس تحري عيونه صور عديدة تُلّونُهَا سرحات التخيل واللانهاية تضع لها الإطار، يتسائل صامتا ! هل تؤثر تلك الملامح في نسبة التوزيع؟

بعد أن رجع عدة خطوات ذهنية عاد بلمسات أقدامه لطريقهِ إلى العمل حرارة الشمس جعلته يمارس مهنته مبكرا، فراح يبحث عن ظلال تواري بعضا من حالة الفتور التي تنتابه حينما تتأخر عنه الفكرة، فجأة وأثناء سيره رأسياً إصطدمت عينه أفقيا بالقمر ..

كانت بالنسبة له ظاهرة فريدة

فتاة، يعرفها في باله فهي مَن غزلتها اصواف ليالي الشتاء الحالمة عندما كان ينام دون غطاء مختبرا من يحلم بها هل ستعطيه الدفء؟ بعيداً عن جنون أشواقه كانت تلك المرة حقيقة، شعر حينما رآها أن أحدا سرقه منه كما شعر بوداع الانفلونزا للأبد.

تسمر يتأمل انعكاس صورتها في ڤاترينا عرض كتب ويستقطب لمحة أو نظره ملمة بملامحها ترقي لصورة الغلاف، تَصّنع هو الآخر بَحثُهُ عن عنوان يجده ويتبني أفكارهُ استقرت هي على اختيار مجموعة قصصية، نطقت كلمات عنوانها عندما لمستها وسمع هو اعجاب عيونها واختار نفس الكتاب، قرر أن يستثمر إقدامهُ الصحفي ويتحدث معها، ويخبرها أنه سبق وان رآها ساطعة في سماء

أحلامه ، وأنها الآن على أرضه، ويحق له أن يبدأ هو الحوار، وبعد كل هذا الصخب والتبرير، اكتشف أنه لا يجيد لغة الإشارة.

"حبيبتي..لمسة جناح فراشه"

بعد ساعات سيكون هناك لقاء ما بين الصورة والأصل، لتروي الأولى للثانية قصة الدفء المستمد من تأملها ومن صدى الصوت الساكت معظم الأحيان.

أجلس وقد عادت يدي تتحرك فهي الآن تعانق القلم في اختصارٍ لعبارات الترحاب، لأن الفكره العائده من سفر دقات القلب لعيشة الحياة العاديه المألوفة الآن مختلفة، تُلح أن تروي شقوق الأوراق البيضاء بعيدا عن رثاء فقدان قلمي الأسود قبلت الفكره التعازي لأنه صار مقيدا لحرية من صارت ملهمتي..

هناك ثلاثة أشياء تشغلني، حبيبة كل العمر القادم؛

الحياد البعاد الميعاد

لا أريد أن أكون أسيرا لنظرتك العسلية الساحره، ولا بعيدا عن الغوص في عيونك التي كالبحر رغم غدر الطقس في الأيام الأولى من أمشير، لا أريد أن أكون أسير ضحكاتها البراقة التي تخطف أنفاسي وتعيد لي الحياة من جديد

أما عن الميعاد، تُرى هل سنحكي عنه لقاء أحباب؟

توقف القلم قليلا إستجابه لنبرة صوتك وهي تهمهم بإيماءات تدل بصدق المعنى على دقة الاستماع، استجابة لقلبي الذي ثار معلنا أنه لا يريد سوى الرقص على نغماتك؟ ربما تهدأ أنفاسي الثائرة بالوجدان أمام بسمتها الخجولة

وأنا أنادي القلب يريد الأمان ل..... .

"ظل..ونسمة"

تستنشق من البحر رائحته وتميل في استجابة مُتَخَيلَة لمعانقة ضمه لها لترتعش وتُلِم الوحدة وتروي الرغبة والحنين، هكذا كانت تُيمم عشقها له، تهدأ الأمواج من طلتها من نافذة العمر، وتعاود وتثور مواسيةً لحيرتها، كيف لكل هذا العمر أن يمر؟!

هناك بعيداً في زحمة وكراكيب الماضي جلست شاردة الذهن، مستقر وجدانها بفترة تاهت من سنوات عمرها العاقلة، حيث في تلك الفترة انتابها الجنون وعشقت البحر، ومُلهمها للحب كان يحتضن ملامحها بعينه وترمي هي في رؤيته كل إطلالاتها الجميلة أمام المرآة صديقتها، بقلبه احتل عقلها وبقلبها نالت الحرية معه، ولم تتجاوب لاستغراب أنه رسى الوطن، هلت على البحر عبير بعد رحيل المستعمر في استجابة منه لرسائل معاناة المعيشة، وبدأت تحاوره بوجع أزاحت عنه كل الرداءات، ما عادت صيحة الأشواق يستحسنها المستحيل.

"أسراب أمنيات مهاجرة"

من رسمة ملمح طفولتها، إلى بسمة عيون كحلها الصبا، سافرت مُعانِده لرجاء ساعتي اللُعبة، بتلك اللفته الغاية في الصفاء تأملتني بحياء دون تهندم وبلا رداء الخروج

تناوبت الإبحار معها تُغمِض الجفن ليضم دمعاتي المتسرسبة من كثرة الأشواق.

نعم، إنحدرت خطواتي من أعلى هضاب صحراء هيامي المتطلعة لواحة هلتها إلى هنا حيث رافقني إحساس ساحلي لاستقبال إعداد وفوضوية أن تراني.

هدأت كل الأمواج، مع هداوة اقترابنا، وكأننا روحين لجسد تعانقنا ببكاء وفرح، وبسمات فاصلة.

حبيبتي تهوى البحر، وحبيبها لا يُجيد العوم، بذلك برر الجميع أسباب ثورة تأثر الفقراء، وغرق عَبَّارة الحرب السخيفة

أمنيات بنات أفكارنا نجت تعلقت بخامات اعشاش الطيور المهاجرة

فقط لتعود ومعها اصداؤنا بالخارج..

"سر الحلم"

صوت القطار القادم من جهة إقامتها يقطع استرسال تأملي لصورها وهي عائدة بي إلى طفولتها تلك المرحلة التي عشقتها فيها، وعشقت نفسي لعشقي لها، في ذلك الزمان كنت أسافر لعناوين كثيرة في رحلة البحث عن من ترقى لتُزيّن بساتين قلبي، لأروي ورودها من شرياني وأوردة عشقي، لأجعل منها أميرة على بساتين الهوى في قلبي

في صِغري كنت لا أهوى اللمة، وهي كذلك

كنت لا أهوى الضجيج، وهي كذلك

كانت تعشق الرسم والقهوة، وأنا كذلك

وكأننا على يقين بأننا سنبقى مستقبلاً بإذن الله عائلة.

رصدت من صورها الإبتدائية أصل برائتها الآن وصبيانية مشاعرها سحرتني لها وقع أخّاذ

وكأنها أوفت بوعد وصفها إلى من تجده عاشقا لتحركات خطواتها الهادئة وصوتا لسكات أفكارها الثائرة

كم أخبرتني عن بدايات نهاية حلم أن نلتقي صدفة قدر ما بين الحيرة والتمني جدفتها الأيام إلى بداية الواقع الحالم معه حتى أخبرها بأنها عروسة بحري

وها هو صوت هاتفها تلك المرة يقطع استرسالي

كان حسها العذب الذي يرويني بغيرةٍ أتذوقها، وظمأ لها قلمي..

قائلة وهي ترتب للعودة من زيارة الأهل "دعك من فتاتك القديمة النيلية النوبية"

قلت لها: نعم، أنتِ الآن الاجمل فما زال لكِ عطاء يجري

يُعّمِر أودية عمري وحلمك..

"كف الأذى"

للسفر طريق طويل وحتى تمر إلى الأمام كانت الخطوات، وكم هي مبهرة قاسية موحشة مفزعة الغربة، ولكن كان بداخله آداب للعودة

هل يحق له العودة في رحلة الذهاب بتذكر حذر يجلبه له أو ربما هو يأتيه؟

لملم كل ما يملكه من مشاعر متناغمة بين الحنين، ونسيان السابق من السنين تحركت يده وفتح الباب بعد أن صافح يدها الباردة، وكأنها تخبره بأنها عقدت صفقة سرية تبوح عنها الآن ما بين فراقه وموتها، صعدت عينه لعلياء وغرور صمودها وعاتبته بنظره بها تقويم تاريخه معها، تقاوم انهزامها أمام إصراره وتثور وتهتف بكل عبارات الحب، نعم للنقاء لا للبقاء هنا وهو هناك يغازلها بعباراتٍ بريدية أحسها قطعت مسافات طويلة لتصلني، أحسها منهكة غير طازجة.

أعلم أني جميلة بشهادة شِعرك، وشهرزاد لشهريار الذي بداخلك

حدثني عن أي إثارة تبحث؟ فأنت لا تهتم بوصف ضياءات نجومي في سماء إعجابك، على قدر سعيك لإثبات رؤيتك أني أجمل من في الكون..

"غفل البستاني عن صلاة الفجر، فذبلت بعض الورود بالبستان"

قال لها تلك العبارة؛

بعد أن عاد من الشروع في أولى الخطوات، فهي له اسم وصفة، ووصفة الجنة،

واحتواء العيشة ونبع لاحساس صادق تغلب على حالة البرد القارصة، وما كان منه بعد العودة وإن كانت هناك محاولات قبل السفر..

كف التفكير عن ثمن الرحيل وعن الوسيلة للبعاد وعمن يرافقه في رحلة الضلال.

" حائرة في استطلاع عصفور"

لمست برودة يدهاوبيني وبينها مسافات. مسحتها لزجاج نافذتها، أزاحت تكاثف استنشاقي عندما كنت أول شيء تراه في يومها، هزمت تأملي الممطر بصفائها المحلي

الساعة السادسة؛ كانت إشراقة أجفانها النائمة في دفء أنفاسي، المقتربة حتى أقبلها أسفل التاج بسنتيمترات

اتذكر..من عادتها

ترتل القرآن بنبرات وتمايلات الكُتّاب، ويتندي خدها ببلورات ٍايمانية .(.تضيء تعابير وجه المرآة في كل اللوحات)

صيفها يسافر إلى هدوء قصر يطل على البحر العذب بإلهامة فكرتها

تنتظرني بساحليه رغم أن خطابي اخبرها بعودتي قارصة الحنين.

كانت بيني، وأنا هنا في المنفى الاختياري لتحسين الدخل وتلوين الجيوب البيضاء، وبيننا في الوطن الإجباري رسائل كثيرة، عانت سطورها من شقاء المُرسِل والمُرسَل إليه، كفى بنا غربة ووجع،عِشقُنا ليس الأموال.

"هو دواء داء دولتنا من وباء الترحال"

كانت تلك العبارة ثابتة كالإعلان الممول أتصفحها في بالي كل الأوقات، لتمنح

صبري..صبرا وتُذّكرني أن وراء هذا البحر بر

ومُنتظِره تَبعثَرَ أمَلُها في عودة حقائبي الشهيدة بنزيف المهر، قبل أن تُروَي بيوت الرمل من نافورات الشرايين...

"تشابه أسماء"

تسرق تأملي الباحر من كل السفن وتستوقفني ملامحها الغاية في العذوبة، بلذة العذاب تتدرج مشاعري، كيف نسيت أن بتلك الغرفة المظلمة المليئة بكراكيب الذكريات مصباح إنارة كل ما يتطلبه لمسه ولكني لن أنسى أن يدي ما عادت تجرؤ على لمس ما يضيء لرؤية صاخبة أتأملها لدقائق، صورتها قبل أن يراها غيري بالملمح الساكت المطلي بكلمات قصصي القصيرة.

التفت إلى صوت يناديني بنظرة لائمة فقد قطع استرسالي مع قدم برائتها الملمه بكل تفاصيل بالي حدثني هذا الصوت "ليس هذا مقعدك"

كنت أعلم ذلك! ولكني جلست بجوار مقعد لصاحبة اسم رؤيته مألوفة لعيني أتذوقه عندما ينطقه لساني

"على الساده الركاب ربط الأحزمة".. لتلك العبارة استجبت والتزمت بمقعدي الأصلي.. بعيداً عنها ، وأطلقت العنان لتذكر أيامي معها

راودني الفضول لاستكشاف صاحبة الرقم، مالكة نفس الاسم

تشابهت صورتها مع أصل المعتذرة عن السفر معي في لون الرداء الاسود المتوج بالحجاب الأبيض، تُرى هل تبادلا الثياب؟

ولكني أعرف مقاس كل شيء تملكه حبيبتي، جوهري وظاهري.

من هنا أقدر حجم خوفها من المناطق المرتفعة، وأشتاق لطريقتها في إعداد حقيبة السفر ولكنها في المرة الأخيرة نسيت أن تضع في قلبي روح صورتها ..

ذّكرني سواد مُرتادة الطائرة معي بأن أضع الشريطة على زاوية الصورة...

" رداء الشتاء الخفيف"

في الصباح الباكر نادت عيوني بعضا من السحابات البيضاء الناعمة، لمستها اجفاني، وحدثها صوتي الصامت عن روعتها وتبادر إلى سن قلمي الأزرق أن يسأل عنها بكل هذا الشوق وكأنه سمائها،

كانت هي كذلك في بداية لقائنا، حيث كانت تجلس واقفة العين راصدةً لتحركاتي منذ زمن بعيد، لتعد تقارير وجدانية ليعتمدها القلب وتراجعها الأحلام.

وأنا لا أعلم أني تحت ملاحظة تلك الفتاة لانشغالي القارص المنادي لدفء يملأ رسماتٍ لشعوري بريخترية الرعشة حينما تستقبل أجوائها خطواتي إلتقينا مسافر ووطن وفرحة تعانق شجن، أتذكر ذلك الموعد قبل اللاموعد. والمسافة بيننا تسمح لمرور قطارين، قطار قادم لترتاده وآخر عائد يأخذني

وبَعِدنا

يبدو المكان بَعْدنا وكأنه وجه بشر تسوده تعابير بداية البكاء، دارت بنا الأرض حول محورها وكأنها تصف حالتنا، نظرت السماء لنا وارتعشت منزله المطر وكأنها تبكي بدلا منا، وتصفحت يدي أوراق عديدة من مفكرة الأيام، وقبل أن تصعد عيوني لتأمل السماء بدقائق

كنت قد رأيتها مع آخر غير طيفي تتقارب رؤوسهما تحت حامية المطر بيده اليسرى، ويضم بالأخرى ذراعها ويدوس مكان خطواتها وتبادله كما كنا نفعل حين

تقاربنا، وكأنه كان يدوس بكل استبداد على جرح قديم على حرج حاولت علاجة ولكتي فشلت في كل مرة، فما زال يتردد شفائي منه، وما زلت أعد له عقارات الشفاء دون ملل

" الدقائق القليلة الفائتة"

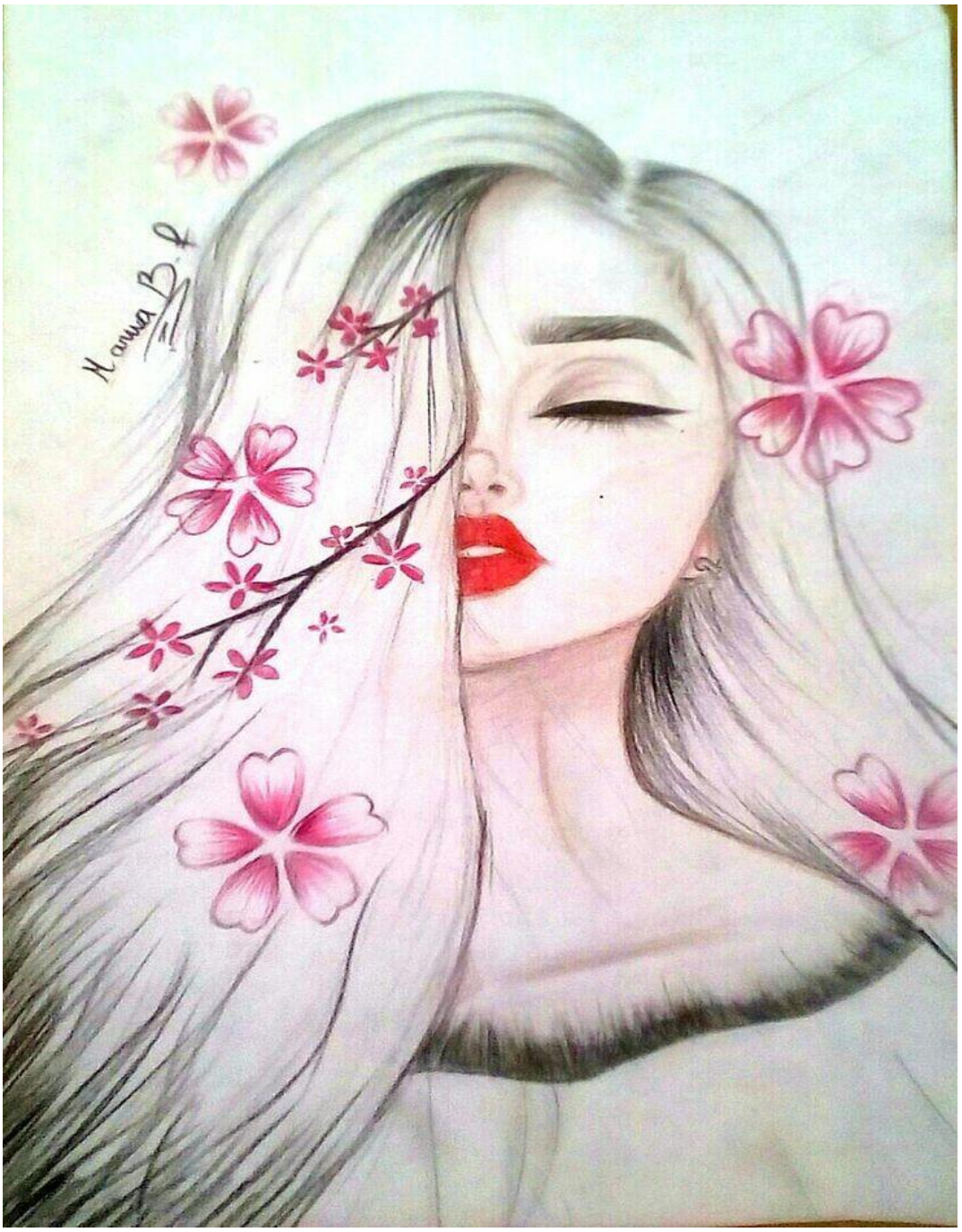

حبيبة عمري، احساسي، اقتربت من وطنها ببعد، لن أراها، رغم تردد يدي الطارقة اخبروني أنها ليست هنا،بل هناك..

حيث لا سفر ولا عوده

هي...

في الشتاء أمطرت دمعات خفيفة تسرسبت على خدها الوردي

أنا...

في الصيف ارتديت لسطوع الشمس أصداء شقاوتها المرحه

بين الماضي والحاضر؛ تراقصت أمواج تذكرها..

ها هي أمامي أرقى صوره لغلاف العدد الاول من جريدة نخيل استطلاع الفكرة، منزلها الشارف على شارع داسته خطواتي البطيئة المستجيبة لجاذبية نظرتها الغاية في الإنتماء والوداعة

(لمحتها هادئة نصف صاعدة)

جاء الخريف..يتساقط من أوراقه، يرحب بخمرية ملامحها ويروي لها رسائلي الحيائية الحية

تسمرت أمام منزلها تجئ يدي بتردد وتروح ، بثقة كلمات ونظرات سابقة أقرع الباب بعد صراع اكسبني تهلهل داخلي

فتحت هي..

أغلقت عيني أنا...

تبعثرت ترتيبات ثلاثة أشهر وخمسة أيام منذ أخر لقاء

احتضنت يدي أطراف أصابعها النحيلة المرتعشة

لملمت نفسي..

تبسمت فراشتي..(هنا فقط أتى الربيع)

لينهي موسمية تاريخ تلعثم لساني، وتبدأ بهجة عائلتها بخطبتها...

ليس مني....بل منه ..(توأم تأثُري بروعتها)

"الصمت الوجداني"

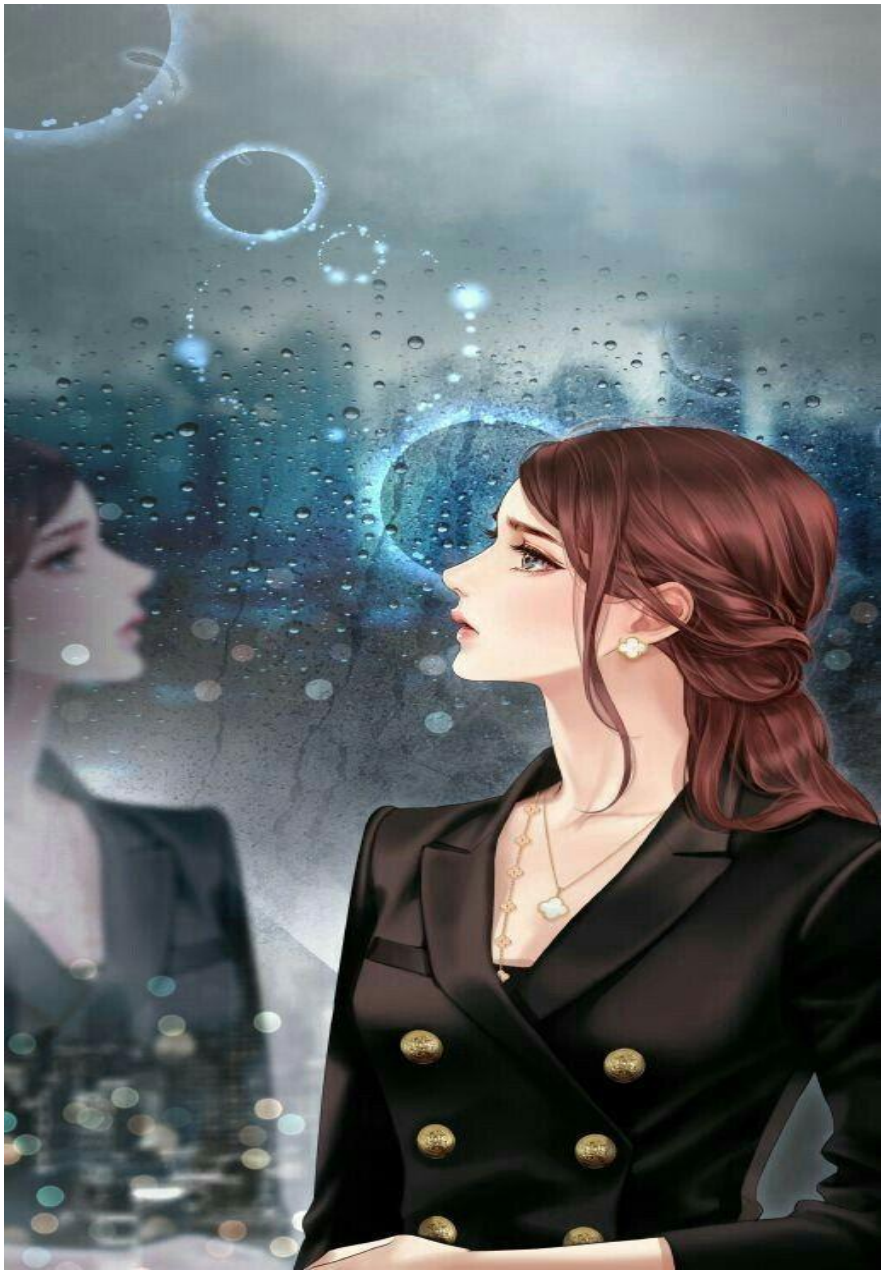

تتحير الرؤية في وصف صورتها وهي تهندم رداؤها أمام مرآة رسم صيحة القادم بعد دقائق، ودّعت صورتها المعكوسة بإشارة تقترب العودة، وراحت إلى لمسات سلام لمة العائلة.

المسافة قد لا تسمح باستثمار طلة التأمل من نافذة السيارة إلى استدعاء كل صورها معه، وامنياتها بأن يكون معها...ولما لا!؟

فهي الآن تحدثه بحوارات سياسية صارخة بنظرة الثورة، هل تلمس يدي يدك وأنت تُشير على من تختار؟ أم كل منا له صوته؟ وإن تشابهنا في الصمت الحالم بحياة أفضل لمن نحب، ترا هل سوف تتمكن يوما من النظر في عيوني، وإدراك ما أخفيه خلف حوارات السياسة ونقاشات طويله مملة بالنسبه لقلبي العاشق

تقف في صف متقطع السير ولكن دماؤه في أوردتها دائمة السريان، تنبع من بدء القلب من نبض لاثنين، وتلقي بحمولها وهمومها وفرحها في تخيل أنها عادت لتروي له يوما جديدا من أيام الحرية وهو يعانق استرسال حديثها بتأمل أخاذ، تروي له إحساسها ووجعها ضحكاتها وخوفها تهمس له كم أحتاج لك لبعض من حنانك واهتمامك الذي كنت تأسرني به، فجأة! قاطع كلامها جرس التليفون هو واقعا يطمئن على عودتها يطمئن أنها بسلام وأمان ولكنها كانت تروي للصورة الأخرى المنتظرة تفاصيل الرحلة بدبلوماسية.

هو فقط من له الحق في أن يرصد برغبة منها مراسيها، هو وحدة يحق له أن يعلم كل خلجة لها وكل همسه وقصة حدثت معها، لأنه وحده من ملك روحها للأبد

"النيل والناي"

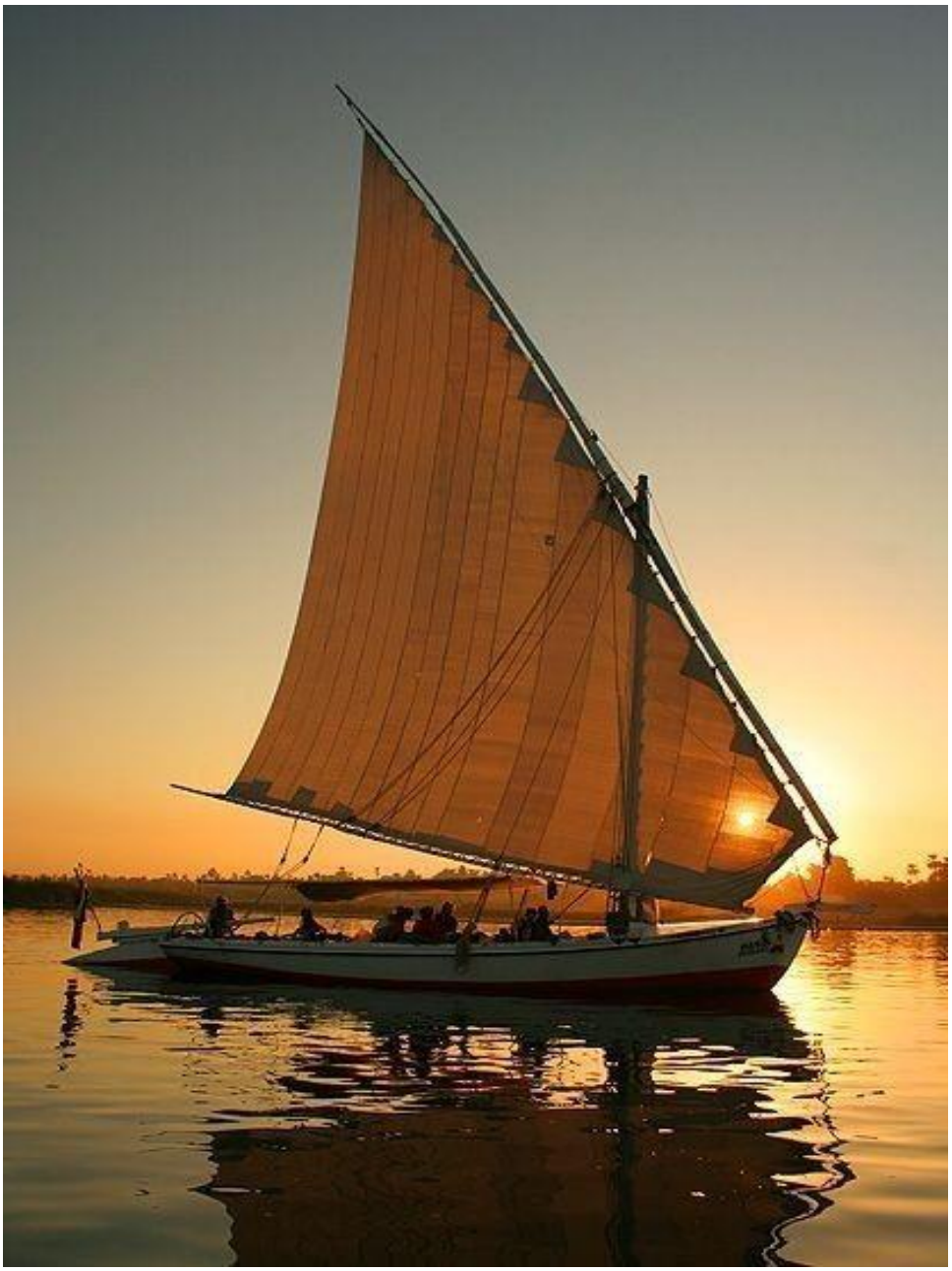

تبخرت بقايا تأثرنا بروعة ما كان، لتتكاثف قطرات ملمترية على نوافذ زجاجية كثيرا ما تأملت الأفق بسرحات الحنين ورسمت الفراغ الممتد ما بين الرغبة في التذكر، والتذكر...

مراكب شراعية تجذب حتى أمانينا بالعودة، بأن تسافر معها هي الأخرى، ودار حوار ما بين أصلي وصورتها، قدمت إليك الآن لنخط سويا حدود وطنيتك، وغربتي لنثور، أقصد أنا ليس رفضا بل قهرا لسنوات صمتي لأغرس سهما في يسار صدر عاطفتي الثورية.

كنت أتابع صيحات الموضة من أجل إعطاء تبرير لذوق رداءاتك لخمسة عشر عاما، الألوان الرمادية لخيال رسمي لرسمك تعني صور عناء الفلاحين قبل موسم الإنبات، الألوان الفاتحة مع نسمة آوان العصر، تُشعِر رؤية الخضرة بالراحة وتنير الأعين فاقدة البصر، أفاقتني أسراب العصافير برتقالية الهلة العائدة من وداع الشمس تخبرني بحياء الحسن والحسين عن انتظاري العاجز وإقدامها اللحوح ناحية الفراغ، داست بكل استبداد على دبالات الذكرى واستنشقت أنفاس معادة دون رائحة أصالة هواء كثيرا ما رفرفت له أطراف حجابها الأبيض النقي من رسمات السلع المتراصة في أسواق الجواري

وتقليد سمو بسمة الأميرات

معاتبا روحي: كيف شغلتك ابتسامتها، وقد كانت بروفة لاصطياد غيرك؟!

"باعت حلمي لرقم حسابه البنكي واشترت أمواله بحلمي"

جائني خطاب من غربتها معه أخبرتني بأنها لمست كل الصور في بال هداوتها وشقاوتها

كل ما تأثرت به أنها جعلتني أشك في حقيقة معنى التعبير ورقعة الخط المرتعش بريخترية ترصد تذبذب مشاعرها وأحرق الصورة.

"همس"

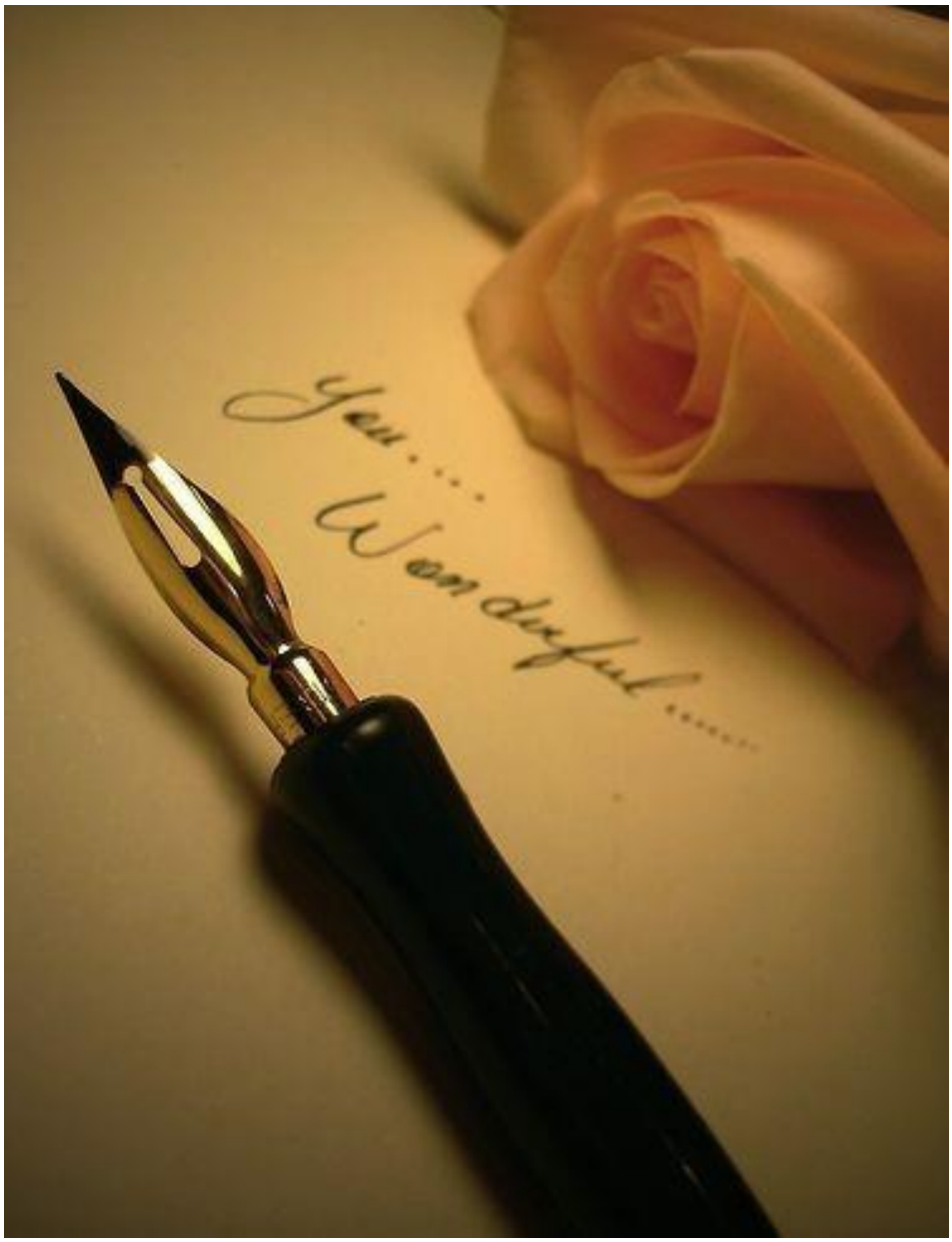

صوت البكاء هو أول الأصوات، وكأن الرحيل منذ دقائق أشعرها بالشوق إلى حيث عاشت قرابة مئتين وسبعون يوما، رسمت لها صوراً قصيرة وهي تناغي ببراءة مطلقه، تخيلتها ترتدي فستان أحمر به دوائر بيضاء يتطاير حولها كأنها عروس البحر شعرها شديد السواد يتلاعب به الهواء عيناها مكحلة كحل رباني وخدودها من فرط الحماس والخجل كالجوري بحمرتهم، ابتسمت ملامحي فقد ظهرت في البال بأنها ورثت الدبلوماسية عن الأم، رغم أنه قد تسرسب لي إحساس بأنها سوف تكون مشجعة نفس النادي

رأيت في عيونها استصلاح مساحات واسعة من العطاء الاخضر الصافي النادي المروي من نداءات تكاثف ليالي السهر المتخيلة والمنهكة من الرواح هنا وهناك لإعطاء أجمل رؤية

وإن كان تعبيري صامت في تلك اللحظات الآنية هل سأقوى على تحمل صرخات الميلاد؟

أخبرتها هاتفا:

بأني سوف أعود الليلة للكتابة

وأرجو أن تسامحيني لأن قلمي تحرك في الصباح رافضا، ثائرا، معاتبا

كيف لك أن ترسل الفكرة وهي تعلم موعد العودة؟!

راحت أصابعي للقلم ثانية فقد توقفت يدي عن الكتابة سارحا باختيار الاسم وإذا بي

أعود بهدوء للعنوان لأردده بصوت عالي مشتاق

"فكرة القصة...وسارقة النسيان"

لم ابتعدنا؟ ابتعدنا لم؟

سؤال من أمام مرآة أنتظر تحية أنيقة من زجاج مشروخ، منذعام وعشرون يوماً نهبط إلى أودية ما كان بيننا، نستعيد من لمساتنا الحذرة بصمات الخضرة المروية من نداءات انتظارنا الباكرة لاحضاننا الساهرة أمام نجمة ترقى لبدء العد ينساب من بين حواف الذكرى خرير ملمح هارب من النسيان، راحت بتنقلات الفرحة لتغدو عاجزة عن العودة والرحيل معاً

أخبرتني: أن تسريحة شعرها بمرآتي لها نداء صامت بشد الضفائر

أخبرتها: بأن وقت فراغي ملئ بكلماتها المرافعة الحادة الصارخة لتحرير انتظاري من استعمار الرهبة

مرت دقائق المعرفة كلها ندم على صيغة النصائح وجزء مني ألم وآخر بسيط نغم كل هذا الحب؛ دون بوح صريح دون قول مباشر أو تلميح حب بدون كلمات بل بنظرات واحاسيس يخشى كل واحد منا أن يبوح فيجد الصد من الثاني، لم يكن هناك إلا بعض اللمحات والابتسامات الخائنة لرسمة التحذير، لن أنسى لون الخوف الخفيف المُحنى برداء جسدي الغارق في بحر تعبير اللحظة أعطتني كل الدفء ليزول انكماشي، وأنسرق من خيالٍ خجول لثروة أصل مطلي حياء جديد

فاحت رائحة الحبر الجاف من قلمي آخر كلمة ؛ كانت تحدثنا عن لهفة دقات القلب لسماع صدفة سيرة ما بيننا أو حروف في كتاب تحمل إشارة غير مقصودة تكسبنا اعتزاز تلحق به مرارة الهزيمة....

" قلب مصر في اليمين"

في المسافة المليمترية الفاصلة شوق غزير للقاء يشعر به القلب من إشارة لمس الأقدام العائدة لأرض سيناء، نعم ما بين تباعد حبيبة رمال وأخرى تتصاعد أنفاس الحنين ثائرة ليس لثقل ابن الوطن الواقف بكل اعتزاز ولكنه عناء تباعد الزمن، ما بين زيارة وغياب طلة بشاير الثانية عن الظهور في أفق قدوم الأحبة أثارت تلك الكلمات المعلقة بأسطر تدوينها وبأمنيات لمعت في عيني لتحقيق رغبة إزالة نكسة ترميم القديم بمجرد رجاء مكتوب

: أخذت معي أعضاء جماعة الرحلات ورسمنا بالقلم الرصاص خطة الإعداد لعبور الروتين التعليمي.

وفي الثانية بتوقيت الفترة المسائية إخترقنا رتابة مدير المدرسة وأعطى لنا لون واحد يضاف للقلم المبري وقد كان الأخضر، وفي الثانية تحرك أتوبيس الرحلة رقم واحد بتاريخي بالمدرسة المتجهه ناحية يمين مصر حيث المياه من هنا وهنا وهناك ورواء العطش مع الحدود هناك وهناك،

-ثلاث دول صديقة

- ميناء بحر تأمل الأمل ورواح الملل وفي ذهني صوت خرير مياه ستمر من هنا قاطع استرسال تخيل رؤية الخَضار سؤال من طفلتي الشقية

تسألني: أين ذهب اللون الاحمر؟؟؟

كنت أحكي لها كثيرا عن نزيف الاستشهاد هنا وضّحت لها الإجابة ببساطة تناسب سنها وسرسبت حفنة رمال من يدي مع هدوء الرياح لكي تبقى عيونها متأملة..وقلت لها؛

" ماتوا من أجل انسيابية الرمال في يدي ويد من يأتي ويُلم في حفنة الدعاء الصاعد من تطلع عيوننا لرفرفات العلم مع عودة طاب، كان أملا ثائرا معاتبا لكل مؤرخي ورسامي وفنانين العالم لم لا يصطفوا هنا يرصدوا صخب التاريخ الفائت، وهداوة رسو الأحداث ويصوروا روعة الجغرافيا ويعرفوا أن عسلية غروب الشمس أصل لونها يشرق من هنا

كدت أنسى أن معي طفلتي ليس اسمها فيروز أو ذهب أو حنين

- لكن حرية سيناء ألهمتني فكرة إغتيال الاعتياد

فابنتي تدعى: همس.. وإن كان قلمي صارخا في الحكي

فأنا مدرس التاريخ الذي يصنع ويروي المعرفة الكاملة في عقول وقلوب تلاميذه في شبه جزيرة سيناء..

"نفرتيتي"

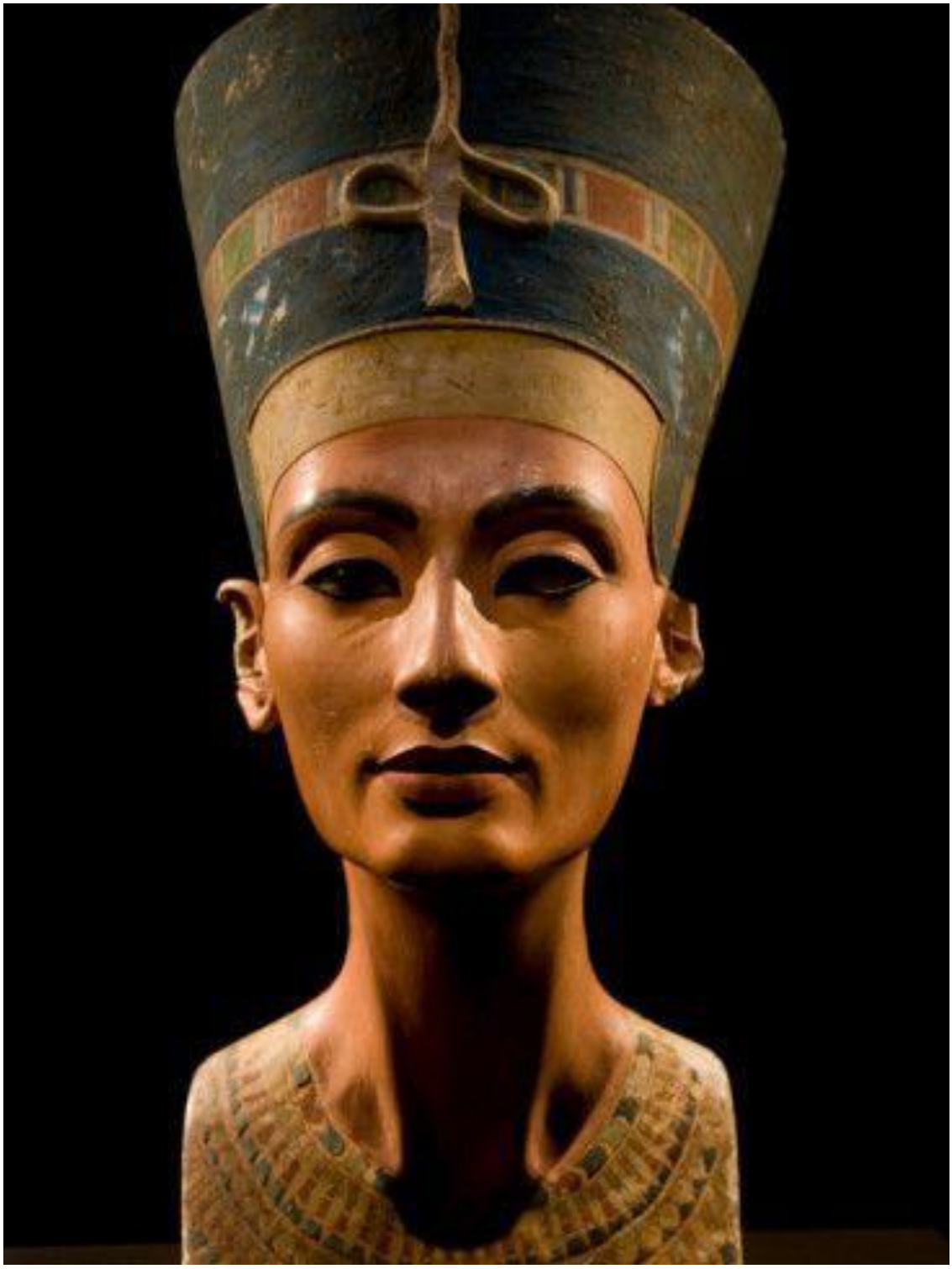

ما بين بادرة فكرتها الابتدائيه وقصة طموحي فواصل شاردة خرساء، لمتني لمحتها الهادئة من تبعثر تعابير نظرتها الحالمة المحناه برؤية ضياء عيني وباعتياد سافرت بي إلى أنهار وأوديه تلك المرة،

كان جسدي يرتديه حنين حر في دروبها الدراية بالآتي فضية الوصف، ذهبية الرصد تتغير وجهات طلة تأملي للتاريخ

أخيرا؛ جائتني إلى مكان قديم فرعونية

اكسبت دهشتي إعتزازا إكتمل مع سماع صوتها يناديني بكلمات تتهجى وجودي استجابت لرسائل الكلمة الرصاص ولمسات يداها ليدي الخائفة من القلم والتسجيل.

روينا معا، لنا

حكايات العشق الجاري بظل أشرعة السفن حانية الطلعة الأفقية التي تأخذ الكل معها إلى فوق حيث أضواء خافتة

وأيضاً

البحر والرمال الغائرة، من رداءات حبيبتي عارية خصلات التاج

دارت بيننا حوارات كثيرة عن الفروسية والوفاء، في أثناء استماعي لها كنت أتأملها تفي بالمعنى للكلمات أنصت لصورها أرصد قوتها وعلياء انكسارها وصبرها

فهي مصر حبيبتي ؛ وحبيبتي من مصر

"فرحه.. مستترة"

وصلتها دعوة حفل زفاف من صديقتها لتحضرها حالة الضيق والحسرة الرسالة الكترونية هذة المرة، أشْعرتها بقِدم الإنتظار أزاحت غطاء النوم وراحت للمرآه طبيبتها النفسية الصامتة التي تسمعها دون أي رد على أسئلة كثيرة من المصابه بفوبيا سماع سيرة الزواج، هل السبب في تأخرها عن موعد قطارها و أن يعجب بها أحد ويتقدم لخطبتها، وينتزعها من أمام مرايا العقد النفسية؟

ليراها من تصل في موعده

ببعد نظره وطموحه عروسة بحره مرسى ومستقر راحته

تتسائل هل السبب وجدانيا؟

ربما تكون أنانية غرور مشاعرها لا يقدره أحد

أو أن طقسها جاف لا يصلح للإثمار وتنوع الأحلام الدفيئة

أم أن شمسها قد أفلت قبل أن تشرق

أم أن طقوسها غريبة، وملابسها من العصور الحجرية.

تراا، لو أحدثت تغييرا في طريقة العرض لسلعها الجسدية المكنونة..

هل ستفوز بوسيم مثل المطل على لمسات تأملها من الدعوة الإلكترونية التي بعثت بها صديقتها.؟

ترددت...

أفاقتها أحلامها

أنت تريدين من تجذبه مشاعرك وتستوطنك أحلامه أميرة في بستان أمنياته،

تريدين من يحادث عقلك ويمتزج بروحك لينصهر بك فتصبحون روحا واحدة

تريدين أو تكوني مرسى لطموحة ليس جارية تعامل رغبته برفق

قطع استرسال سردها دعوة جديدة عبر الواتساب

لتتسائل مجددا وتسرح في مساحه جديدة..

هل غيابه عنها قدر...؟!

متعلق بذهنها حوار روائي"بأن الزواج رزق"

لعل الاكتفاء بمراسلة طبيبه نفسية جديدة بديلة لانعكاس صورتها، كان زواجها

من شهر خير من أن تتحول إقامتها معه بعد أن يسحرها الفستان الابيض..

إلى حياة باردة؛ وكأنها مستشفى أعدت لغياب القلب والعقل..

"الإنتظار طويلا خير من أن يأتي أحد ويغتال ببطء وملل

اللهفة..والصبر..بداخلك."

"وجع امل"

في طريقي إلى العمل كان هناك زحام تتوه به الفكرة الواحدة للكتابة ولكن في تلك المرة حدث ما هو جديد، كانت المفاجأة! وما زالت عيني لا تصدق، هل هي أم لا؟ نفس الجسد النحيل والملامح الطفولية العذبة التي لها القدرة على رواء ظمأ الراحة، نفس الخطوات التي تخطوها وطريقة سيرها في الطرقات، إقتربت أكثر حيث كانت تحتضن بأناملها يد سيدة أربعينية أكدت لي أنها هي جارتنا الطفلة أمل، نفس الشكل والصوت والروح الجديد كان غطاء الرأس وشحوب الوجه.

داعبتها كما افعل حين اقابلها كل مرة بادلتني الضحكة ولكنها ترددت على مسامعي بصدى مختلف ودعتني بإشارة من يدها النحيلة واستقلت الاتوبيس من كثرة ركابه أحسست بأن كل الشعب بداخله ما عدا أنا وبائع الجرائد الذي علا صوته ببعض الهمهمات وكلمة "مسكينه"

قلت له: من تقصد؟

رد معاتبا لعدم ملاحظتي الموقف الفائت منذ دقائق

قائلاً: المسكينه هي الطفلة..أمل

استرسل دون أن أسأله المتابعة هي ارتادت كثافة الركاب للمتابعة وجلسات الكيماوي

صعقت من هول ما سمعته

ودار في ذهني فكرة غريبة مستبعدا هذا الخبر المفزع من بائع الاخبار

هل يكون هو من سرق ضفيرتها ليزين بها غلاف قصص أطفال رخيص كنوع من الدعاية اللافتة؟

اعادني من ظني به في خيالي..ليطلعني على خبر الصفحة الأولى

الذي لا يبحث له أحد عن تفاصيل

"أن أمها تفترش الإشارة لتتوقف بعض الصدقات عندها...

" أهدتني روحها، ومعها ساعة هدية"

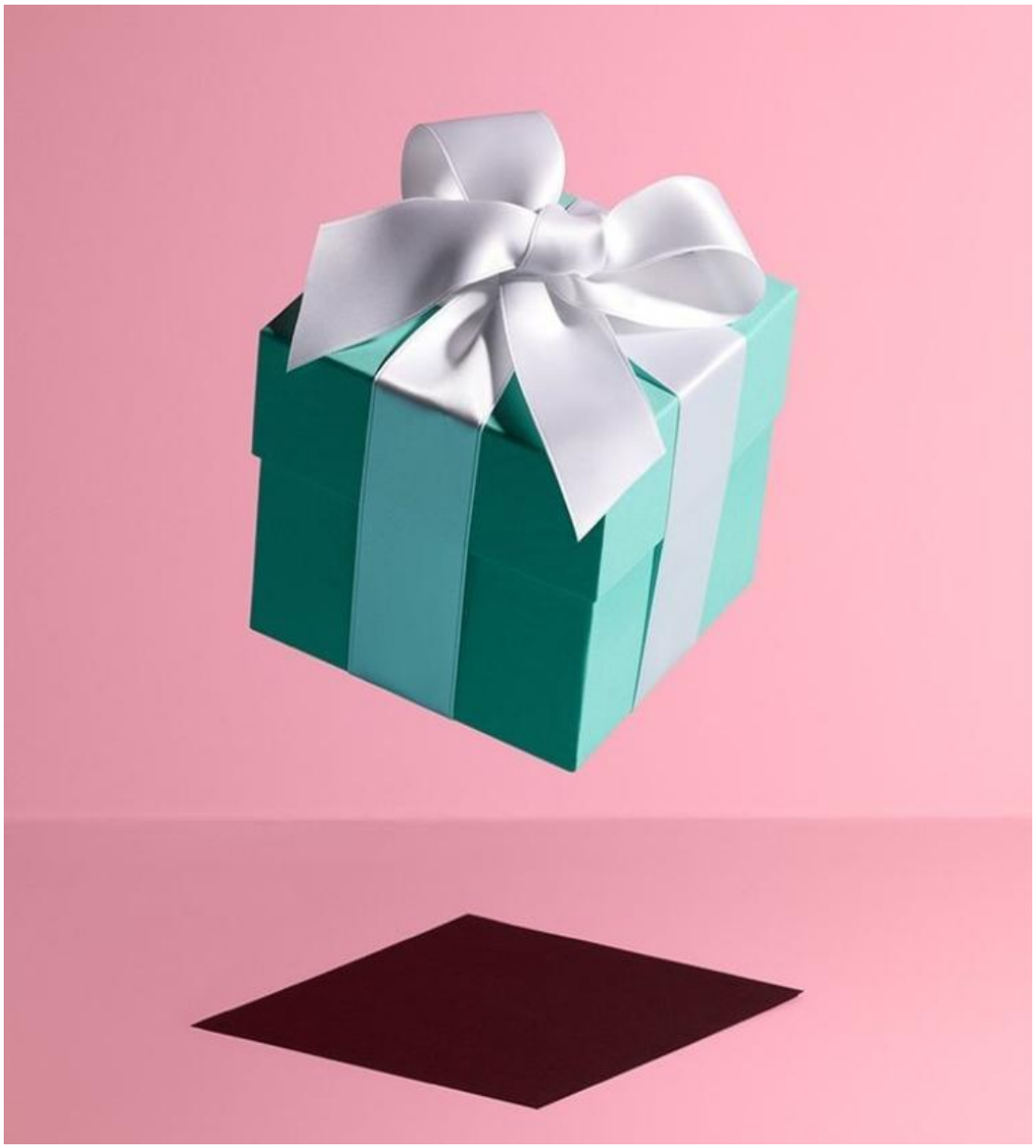

عاد من حفل تكريم وجلس متسائلا: لم كان حفل التكريم هذا؟

هل من أجل مرور العمر وانتظار النهاية، أو حذف اختيارين من إجابات يصوغها القدر عن رحلة العمر؟ صعد كل درجات السلم الوظيفى...

ليجد نفسه خارج مبنى الحياة يرتاد الصحف وتختلط اصدارات الأمس باليوم، ولا يجد فرق

الفارق كان غياب اسمه من مساحة التهنئة المتعددة بذكرى الميلاد وبداية العام وبداية الربيع حتى على شفاؤه من الانفلونزا.

قبل أن تتساقط أوراق الأمل في خريفه قرر أن يذهب لنادي يجمعه بأصدقائه القدامى يواسون أنفسهم أيام كانوا صغارا، يعبرون مسافات طويلة بالكيلو مترات ساخرين من زحمة الشوارع بالملاكي كانوا وحدة أو تجمع من عدائين اخترقوا حاجز الستين حتى النادل كان عجوزا

"المشاريب على حسابي"

عبارة قطع بها انشغالهم بلعب الطاولة، ومسح عدسات النظارات سأل أحدهم النادل: لما كل هذا الكرم الحاتمي؟!

لملم ردا مقتضبا: "أحوش لمين؟"

قاطعهم آخر مازحا: "اصرف علينا إحنا غلابة"

كان هذا روتينهم اليومي أما هو فكان جالسا وحيدا يتسامر مع ذكرياته معها قبل أن تفارقه وكيف كانت تعد له أحلامه، وترتب تطلعاته تصرخ لوجعه وتدمع لفرحه وتقيم له حصون بالرقية الشرعية كان يعلم أن ما أصابه الآن ليس عين حاسد ولكنها خطوات الزمن التي لا تكل ولا تمل من الرحلة والمشوار كان يمضي وقته ما بين قراءة الجرائد وتصفح مفكرة الذكريات لدرجة أنه كان يبحث عن اسمه في صفحة الوفيات

من يتجرأ ويكتب على ملجأ لكبار السن كلمة "عجزة" ستغتاله قريبا الأيام

الفهرس

واحة في صحراء العمر.....٥
هديل البريد.....٨
قصر الاحلام.....١٠
وطن.....١٢
صدى صمت.....١٤
حبيبتي لمسة جناح فراشة.....١٧
ظل و نسمة.....١٩
اسراب امنيات مهاجرة.....٢١
سر الحلم.....٢٣
كف الأذى.....٢٦
حائرة في إستطلاع عصفور.....٢٩
تشابه أسماء.....٣٢
رداء الشتاء الخفيف.....٣٥
الدقائق القليلة الفائتة.....٣٨
الصمت الوجداني.....٤١
النيل والناي.....٤٤
همس.....٤٧
سارقة النسيان.....٥٠
قلب مصر في اليمين.....٥٣
نفرتيتي.....٥٦
فرحة مستترة.....٥٨
وجع أمل.....٦١
أهدتني روحها.....٦٤

مع تحيات... حسام ..منى..إسراء